

Speech acts, their psychological dimensions and
their impact on the interpretation of discourse
An applied study in the novels of Jean Dost

دراسة تطبيقية في روايات جان دوست
الافعال الكلامية وأبعادها النفسية وأثرها في تأويل الخطاب

Ahmed Khaled Mahmoud^{1, *}, Ruwa Nidal Omar Saeed¹
¹ Department of Arabic Language, College of Islamic Sciences,
University of Baghdad, Baghdad, Iraq.

أحمد خالد محمود^{١, *}, روى نضال عمر سعيد^١
القسم اللغة العربية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، بغداد، العراق

ABSTRACT

This research aims to shed light on speech acts, their psychological dimensions, and their impact on interpreting discourse. The research took Jean Dost's novels as an applied sample due to their importance in that they convey a human experience and work to deliver messages to the recipient through their content. There are matters that contribute to activating the use of (language and communication) to meet the personal and societal needs of humans and are represented in the art of dealing with the world or how to deal with it. In understanding that world, the individual's mission, whether the individual is a speaker or a sender, lies in thwarting the flaws of language and being aware of the traps of grammar. In our research, we addressed linguistic communication and its relationship to the communicative context, and the relationship of the communicative dimensions to each other, in addition to their impact on the communication process. This research took a pivotal aspect in linguistic communication, which is speech acts and interpreting discourse. In this aspect, we tried to understand the process of linguistic communication and interpretation and the relationship of all of this to the communicative aspects and their psychological and emotional impact on the sender and the recipient.

الخلاصة

يهدف هذا البحث الى تسليط الضوء على الأفعال الكلامية وأبعادها النفسية وأثرها في تأويل الخطاب واتخذ البحث من روايات جان دوست عينة تطبيقية لما لها من أهمية ذلك أنها تنقل تجربة إنسانية وتعمل على إيصال الرسائل إلى المتلقي من خلال محتواها فهناك أمور تسهم في تفعيل استعمال (اللغة، والتواصل) لسد احتياجات البشر الشخصية والمجتمعية، وتتمثل في فن التعامل مع العالم أو كيفية التعامل معه. وفي فهم ذلك العالم وتكمن مهمة الفرد سواء أكان الفرد متكلماً أم مرسلاً في إحباط ألعاب اللغة والتفطن إلى فخاخ النحو، وفي بحثنا تناولنا التواصل اللغوي وعلاقته بالسياق التداولي، وعلاقة الأبعاد التداولية بعضها ببعض فضلاً عن أثرها في عملية التواصل فاتخذ هذا البحث جانباً ارتكازياً في التواصل اللغوي وهو الأفعال الكلامية وتأويل الخطاب، فحاولنا في هذا الجانب فهم عملية التواصل اللغوي والتأويل وعلاقة هذا كله بالجوانب التداولية وأثرها النفسي والعاطفي في المرسل والمتلقي.

Keywords

الكلمات المفتاحية

الأفعال الكلامية، الأبعاد النفسية، جان دوست
speech acts, discourse, psychological dimensions, Jean Dost

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	قبول النشر	النشر الإلكتروني
22/03/2023	19/05/2023	20 /06/2023

١. مقدمة

لم تعد الفكرة التواصل قائمة على التكلم فحسب، فالرؤية اليوم من المنظور النفسي أصبحت تأخذ أبعاداً كثيرة من هيئة المتكلم والمتلقي وحالهما ووضعهما وإلى لغة الجسد بينهما وحتى في طريقة التشبيك بين الأصابع أو طريقة الجلوس أو الوقوف كلها لها دور في عملية التواصل، وكشف شخصية الإنسان من حيث سلوك الإنسان وتصرفاته من أقوال وأفعال وكل ما يصدر عنه تحت هذه الصورة العقلية المختزنة في الإطار المرجعي لمختلف الأشياء والأحداث، وتحصل الاستجابة لرسالة من الرسائل نتيجة للتفاعل الذي يحدث بين طرفي التواصل نتيجة للرسالة بعد قبولها ومرورها في مصفاة الإطار المرجعي، واجتيازها ودخولها إلى دائرة نظام المخزون المعرفي، وبين الصورة العقلية المتكونة لها سابقاً^(١). وهناك أمور عدة تعمل على تفعيل استعمال (اللغة، والتواصل) لسد احتياجات البشر الشخصية والمجتمعية والوقوف على فهم الأمور من حيث المعاني المتعددة، وهذه الأمور هي فن التعامل مع العالم أو كيفية التعامل معه. وعملية فهم ذلك العالم^(٢)، وتكمن مهمة الفرد سواء أكان الفرد متكلماً أم مرسل في إحباط أعياب اللغة والنطق إلى فخاخ النحو؛ ومن هنا كانت معالجتنا في هذا البحث تقع ضمن قضايا مترابطة تتعلق بالتواصل واللغة، كما عالجنا علاقة التواصل اللغوي والسياق والابعاد التداولية بعضها ببعض فضلاً عن أثرها في عملية التواصل فاتخذ هذا البحث جانباً ارتكازياً في التواصل اللغوي وهو الأفعال الكلامية وتأويل الخطاب، فحاولنا في هذا الجانب فهم عملية التواصل اللغوي والتأويل وعلاقة هذا كله بالجوانب التداولية وأثرها النفسي والعاطفي في المرسل والمتلقي.

٢. نظرية الأفعال الكلامية

تمثل الأفعال الكلامية النواة الأساس في أصول مفهوم التداولية، لذا أصبحت محوراً يركز عليه الباحثون جميعهم وكذلك لدى المهتمين بعلم الاستعمال اللغوي؛ لأنها تدرس التواصل اللغوي الإنساني الذي ينجزه اللسان، فجاءت هذه النواة بوصفها نظرية متكاملة اطلق عليها الأفعال الكلامية عبر روادها كل من الفيلسوف أوستين وتلميذه سيرل الذي طور نظرية استاذة بمضامين ومقاصد جديدة نوعاً ما حددها بإطار سياقي يختلف عما حدده أوستين لكن المضمون واحد لا يختلف عليه اثنان، فاللغة عند نظرية الأفعال الكلامية لا تكون أداة تواصل كما صورتها المدارس الوظيفية أو رموزاً أو إشارات كما صورتها لنا التوليدية التحويلية وإنما هي أداة تأثيرية تصنع أحداثاً حقيقية لتغيير العالم على وفق بنيات مطابقة العالم للكلمات^(٣)، "فالتداولية ليست علماً لغوياً محضاً بالمعنى التقليدي، علماً يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره"^(٤). ولا يمكن أن نعزل فكرة التداولية أو الأفعال الكلامية عن الخطاب؛ إذ إن الخطاب سيتضمن المفهوم الاجرائي للتداولية ولنظرية الأفعال الكلامية، فلولا الخطاب لما توصلنا إلى الشبكة المعقدة التي تجمع الأساليب اللغوية وغير اللغوية عبر مكونات الأفعال الكلامية، لذا فإن الخطاب جزء لا يتجزأ من هذه العملية التواصلية، فهو نشاط إنساني قائم على مثير وهو المتكلم مع مستجيب وهو المتلقي مستعمل إشارات لفظية منظمة وغير منظمة مشتركة بينهما كأن تكون ظروفًا اجتماعية وثقافية ونفسية وسياسية^(٥)، فالفعل الكلامي "هو كل ملفوظ بنهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فضلاً عن ذلك بعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية تخلص ردود فعال المتلقي كالرفض والقبول"^(٦)، فالفعل الكلامي الكامل لدة الاصوليين يقسم على أربعة اقسام بحسب دلالة كل من (المتكلم والمتلقي) من الخطاب واغراضه وكذلك عمل الأفعال من حيث السلوك والمواقف الاجتماعية^(٧).

فعل القول

الفعل المستدعي بالقول ويشمل (الأمر، النهي، والاستخبار)

الفعل المتضمن في القول (ألفاظ العقود والمعاهدات)

الفعل الناتج عن القول.

(١) ينظر: المدخل في الاتصال الجماهيري، عصام سليمان موسى ٦٤.

(٢) ينظر: للسانيات النشأة والتطور، أحمد مؤمن، ١٧٥.

(٣) ينظر: التداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوي ١١.

(٤) التداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوي ١٦.

(٥) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية جاك موشلار ٥١.

(٦) التداولية عند علماء العرب مسعود صحراوي ٤٠.

(٧) ينظر: التداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوي ١٤٩-١٥٠.

وهذه التقسيمات لا نراها تختلف كثيراً لدى كل من أوستين وسيرل مؤسيسي نظري الأفعال الكلامية، فلا بد من ذكر تقسيمات سيرل الرباعية التي كانت تعد سابقاً (ثلاثية أوستن) بعد إهماله (الفعل القضوي)، فبعد التعديل والإضافة من سيرل أصبحت رباعية، إذ عدَّ سيرل "إنتاج جملة لغوية متزامناً لأربعة أفعال لغوية: الفعل التلظي، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثري"^(١)، فصنف أيضاً الأفعال الكلامية على أفعال إنجازية مباشرة وغير مباشرة والإنجازية على خمسة أصناف وهي أيضاً تعديل على ما وضعه أستاذه أوستين كقاعدة للنقاش بصفة مؤقتة، وهي: (الحكمية، والتمرسية، والتكليف، والعرضية، والسلوكيات)^(٢).

٢.١. الإخباريات أو التقريريات التأكيدات (Assertives) :

الغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معينة بقصدية يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، أي: مطابقة الكلمات للعالم بحيث تجهد الكلمات نفسها لمطابقة الواقع عبر آلية الاعتقاد.

٢.٢. التوجيهيات أو الأوامر (Directives) :

الغرض الإنجازي فيها هو توجيه المخاطب إنجاز فعل ما، بعد سماعه من المتكلم واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات ويدخل ضمن هذا الصنف الاستفهام، الرجاء، التشجيع، الإذن (الأمر والنهي والإباحة)، الدعوة، النصيح قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

٢.٣. التعبيريات أو التصريحات (Expressive) :

هو التعبير عن الشعور النفسي للمتكلم تعبيراً صادقاً بحسب المواقف النفسية، وهذا النوع لا يوجد فيه مطابقة بين الكلمات والعالم، ويدخل ضمن هذا الصنف أفعال الحسرة والندم، والترحيب، والاعتذار، والتهنئة، والتعزية، والأسف، والشكر، ... الخ.

٢.٤. الالتزاميات (التعهدات) (Commissive) :

هو التزام المتكلم أن يفعل شيئاً ما في المستقبل القريب، والمحتوى القضوي فيها دائماً ما يكون فعل المتكلم شيئاً في المستقبل واتجاه المطابقة من العالم للكلمات نحو (سأدرس وسأكتب، وسأنجح)، أي: وعد ووصية.

والفرق بين التوجيهيات والالتزاميات أن الأولى موجهة للمخاطب، وأما الثانية فتخص المتكلم، والأولى فيها محاولة للتأثير في المخاطب، وفي الثاني لا توجد فيها محاولات للتأثير فيه.

٢.٥. الإعلانيات أو الإدلاءات (Declarations) :

غرضها الإنجازي مقارنة المضمون القضوي مع الواقع لإحداث تغيير في واقعها، ويكمن نجاحها في تطابقها مع الواقع وهذا ما يميزها عن باقي الأصناف؛ لأنها تناولت الطرفين بشكل مزدوج؛ أي: مطابقة الكلمات للعالم، ومطابقة العالم للكلمات، ولا يشترط فيها الإخلاص، نحو: إعلان الحرب، أو الحكم، أو الطرد، أو إبرام العقد وأفعال العقود ... الخ، وهذه تدخل جميعها تحت البنود غير القابلة للمناقشات إلا إذا استأنفت.

٣. الأبعاد النفسية للأفعال الكلامية وأثرها في المتلقي في روايات جان دوست

اعتمدت نظرية الأفعال الكلامية على التقسيمات التي ذكرناها سابقاً وهي تقترب من التقسيمات في التراث العربي مع أسلوب خبر والإنشاء؛ لذا في هذا السياق سندرس جملاً نقسم على نوعين:

- الأول: خبرية: تندرج الأخبار بأنواعها عند سيرل ضمن صنف التقريريات والغرض المتضمن في القول هو التقرير^(٣). فالإخباريات ضمن الأفعال الإنجازية مع أنها تحتمل الصدق والكذب؛ وذلك أن الإنجازية في الإخباريات تكمن في إنجاز فعل الإخبار بوصف واقعة معينة من خلال قضية ونقلها إلى المتلقي، وقد لاحظ أوستين بعدما ميز بين (العبارات الوصفية - العبارات الإنجازية) أن هذين الصنفين من العبارات يمكن تصنيفهما في صنف واحد مستدلاً على إمكان الاختزال بأن العبارات المصنفة بوصفها عبارات وصفية ليست هي في الواقع إلا عبارات إنجازية فعلها الإنجازي ضمني، فبعض النصوص تحمل عبارات إنجازية صريحة مباشرة، وبعضها الآخر تحمل أفعالاً إنجازية ضمنية غير مباشرة^(٤).

(١) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية ١٠٩.

(٢) ينظر: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو ٦٢-٦٦-٦٧-٦٨.

(٣) ينظر: التداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوي ١٣٥.

(٤) ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، د. أحمد المتوكل ٢٣.

• الثاني: انشائية طلبية وغير طلبية: وهذا ما ذهب إليه الشيرازي في كتابه شرح اللمع للأساليب الطلبية "استدعاء الفعل بالقول" (١)؛ أي: طلب بصيغة الأمر "واستدعاء الترك بالقول" (٢)؛ أي: ترك الطلب بصيغة النهي. أما الإنشاء غير الطلبي فتتدرج تحته التعبيرات كما في فعل التعجب، وعرفه الشريف الجرجاني بأنه "أنفعال يحدث في النفس عما خفي سببه" (٣). ومن الأساليب الأخرى للإنشاء غير الطلبي كالترجي والقسم والمدح والذم والفاظ العقود، وأحياناً تتداخل الأفعال الكلامية (الانشائية الطلبية وغير الطلبية) إلى أكثر من أسلوب في النص الواحد ليخرج لنا مجموعة من الأفعال الكلامية المناسبة للتواصل اللغوي، ولا يخلو الامتزاج أيضاً من النصوص الاخباريات والانشائية بنوعيهما. فنرى الكاتب لهذه النصوص يختلط بين الكلام الحقيقي والمجازي وفي معظم الحالات غلب الكلام المجازي على الكلام الحقيقي حتى في الحوار أو الكلام بين الشخصيات الموجودة في رواياته وربما ابتعدت عن مفهوم الملاءمة الذي وظفه التداوليون في عملية فهم النص وتأويله فعلى سبيل المثال في رواية مجنون سلمى الذي دار بين الأمير وأحمد، فهم الملا أحمد أنّ هذه الصيغة ليست سؤالاً حقيقياً، وإنما هي امر مباشر من الأمير عبّرَ نظرية الأفعال الكلامية التي وجهت الخطاب على أنّه صيغة أمر مباشر بفعل إنجازي مباشر، وليست طلباً أو سؤالاً خرج إلى الفعل الإنجازي غير المباشر، فالملا أحمد امتثل لهذا الأمر ونفذه وبعدّ هذا من التوجيهات (الطلبية)، أي: الأساليب الطلبية "أهلاً بك يا جناب الملا. أحمد سمعت أنك تكتب الشعر بلغتنا. هذا صحيح روي فداك. أحسنت هلا أنشدتنا شيئاً من قصائدك؟... قلت بدون أن أفكر طويلاً حباً وكرامة يا مولانا... صاح عدة مرات مستحسناً: أفرين أفرين ثم تبعه الجالسون والندامي في استحسان قصيدتي بينما صار العرق يبلل عنقي من الارتباك" (٤). فالفعل اللفظي النطقي موجود في عبارة (هلا أنشدتنا شيئاً من قصائدك؟) والذي جاء بصيغة التحضيض بوساطة الأداة (هلا)، وهي حرف تحضيض لا يليه إلا الفعل أو معموله (٥)، وهذه العبارة تدل على قوته الإنجازية المباشرة وهي أقل قوة أو إنجاز من الفعل المباشر بعبارة (أنشدتنا شيئاً من قصائدك)، فكان بإمكان الأمير أن يستعمل سلطته من خلال هذه العبارة الإنجازية المباشرة التي تنتمي إلى التوجيهات، فعُدل إلى أسلوب التحضيض وهو أسلوب انجازي أقل صرامة من الأسلوب السابق وحمل جانباً تهذيبياً ليعكس شخصية الأمير، وهذه العبارة تنتمي بطبيعة الحال إلى التوجيهات لكن المتلقي باعتماده على الفعل القضوي المقصود داخل الفعل اللفظي نظر إليه على أنّه أمر حقيقي؛ لذا بادر من غير أن يفكر طويلاً ((حباً وكرامة يا مولانا))، الفعل الانجازي التأثيري النفسي خرج إلى سلوك المتلقي بكيفية الجواب اللفظي النطقي، وكان تأثيره واضحاً بمعنى: (أفعل ذلك يا مولانا بكل سرور وطيب خاطر) جاءت هذه العبارة من المتلقي لإيصال رسالة إلى المرسل أن لديه شعور بالشرف والقيمة الشخصية مما جعله يتأثر بما قيل له فأُسرع إلى تنفيذ الطلب من غير مبالاة وهذا ما حملته عبارة (حباً وكرامة) (٦).

كذلك ورد في النص الآتي فعل انجازي ضمن صنف التوجيهات "أرأيت يا ولدي؟ أرأيت الآن كيف أن الله الرحيم لا ينسى عبده؟ قال لي محمود آغا مساء أمس فرددت عليه: -نعم يا محمود آغا. لقد لطف الله بنا. ولولاك لما كنت الآن حراً. رد عليّ بحدّة: - لولاك لولاك لولاك ! أنت تردّد كثيراً هذا الكلام. أنا لست إلا عبداً سخره الله لإنصافك. لم أجلب أنا الطاعون إلى بایزید یا سید جوبیر، ولم أقتل أنا الباشا وولده. إنه قدر من رب العالمين. أذعنّت للأمر وواقفته على كلامه. لا يمكن أن تتناقش في موضوع القدر ما دام ركناً من أركان الإيمان. رفضه كفر محض" (٧). فالفعل اللفظي النطقي المكتوب يتمثل بعبارة (أرأيت يا ولدي؟ أرأيت الآن كيف أن الله الرحيم لا ينسى عبده؟ قال لي محمود آغا مساء أمس فرددت عليه: -نعم يا محمود آغا) وهذا ما يساعدنا للوصول إلى الفعل القضوي المقصود من سياق الفعل اللفظي المكتوب، فاللفظ (أرأيت يا ولدي) استفهام مجازي خرج إلى التعجب، فالمتلقي أجاب بنعم يا محمود دخلت على الفعل لطلب التصديق (٨)، فالفعل اللفظي له أسلوب خطاب يعتمد على قوة المعاني والألفاظ والحجة، ويهدف إلى إثارة العزائم واستنهاض الهمم. يتميز بجماله ووضوحه، مما يعزز تأثيره في النفوس. ومن عوامل تأثيره مكانة المتكلم، وقوة حجته، وحسن إقناعه، ونبرات صوته باستعمال التكرار، وضرب الأمثال، واختيار الكلمات ذات الرنين، والتنوع في أساليب التعبير من إخبار إلى استفهام إلى تعجب إلى استنكار (٩). على نفس وتيرة السؤال بالنداء فالاستفهام فعل إنجازي مباشر من المتكلم إلى المتلقي

(١) شرح اللمع، الشيرازي ١٩١

(٢) المصدر نفسه ج ٢/ ٢٩٣

(٣) التعريفات، الجرجاني ٦٢.

(٤) رواية مجنون سلمى ١٣٦-١٣٧.

(٥) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني ٦١٣.

(٦) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ج ٣/ ١٩٢٣

(٧) رواية لأسير الفرنسي ٢٩٩.

(٨) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ٣٠.

(٩) ينظر: البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين ١٧.

خرج إلى صنف التوجيهات وكذلك النداء في السؤال والجواب عبر أداة النداء (يا) التي تستعمل للبعيد، لكن جاءت هنا للقريب تأكيداً وتنبهياً^(١). وفي هذا النص يحمل كذلك أفعال إنجازية تندرج ضمن صنف الالتزامات بفعل القول اللفظي (لا يمكن) الذي يحتوي على أداة النفي والفعل المضارع (يمكن)، فالفعل القضوي خرج إلى أسلوب النفي لما تضمنته الجملة من عبارة القدر بوصفها ركناً من أركان الايمان، فالأفعال الإنجازية التأثيرية لكل من التوجيهات والالتزامات خرجت إلى مطابقة العالم للكلمات من حيث السؤال والجواب وأسلوب التعاون بين المتلقي والمتكلم، فالطابع التأثيري النفسي لدى المتلقي موجود في عبارة (ولولاك لما كنت الآن حراً)، فمعنى لولاك لكان كذا: لم يكن كذا لوجودك فاللام خرجت للتعليل عمّا في الجملة^(٢)، فالمتلقي متأثراً بعاطفته ومشاعره عمّا تكلم به المتكلم . ومن ثم هناك نص آخر يندرج تحت صنف التوجيهات "نحن الشعب وإرادتنا ترفض حرباً داخل بيوتنا. عليكم احترام إرادتنا وليس فرض إرادتكم علينا. أي شيطان وسوس لكم وزين لكم هذه المغامرة؟ لمصلحة من؟ مستخرون في قتال لا تعرفون عواقبه؟ إن لم تغادرونا بالحسن، فسندطر إلى القوة"^(٣)؛ وذلك بسبب أفعال القول (عليكم احترام)، (أي شيطان)، (لمصلحة من)، (إن لم تغادرونا) أفعال إنجازية مباشرة يحتوي الفعل القضوي المقصود على (الأمر والاستقهام والنفي)، وعزز في نهاية النص بفعل انجازي التزامي للمستقبل يدخل ضمن الالتزامات الظاهرة على الفعل اللفظي والمكتوب (سندطر إلى القوة)، فالغرض المتضمن في القول الإنجازي التأثيري هو استعمال عبارة تهذيبيّة؛ وذلك لأنّه جعل نفسه مضطراً لاستعمال القوة في حال برزت الحاجة إليها، وهذا الخطاب أكثر تهذيباً من قوله (اخرجوا والا سنستعمل القوة)، فكلمة سندطر تعني أننا سنكون مضطرين إلى القوة، فالسين من حروف الاستقبال تدل على المستقبل القريب تدخل على الفعل المضارع وتحوله إلى نص يحمل دلالة الاستقبال^(٤)، فالفعل القضوي خرج إلى التهديد بالفعل الإنجازي التأثيري كسلوك بسيط أو ردة فعل لما يعانيه الشعب من حروب وصلت حتى إلى داخل بيوتهم. فالرسالة واضحة لا غبار فيها والمتلقي بالطبع فهم العبارة جيداً وهذا ما نراه في مطابقة العالم للكلمات الخارجية. ويندرج هذا النص "وصار يتحدث كأنه يدون نهاية وصيته الأخيرة إنني أموت أيها الرفاق. نعم إنني أموت. أموت مثل أي نجم عند شروق الشمس. لا تعجبوا الموت هكذا. يطرق بابك حين لا تكون بحاجة إلى ضيوف. يأتيك ضيفاً ثقيلاً يطلب منك الرحيل في اللحظة التي تضع فيها حقائبك قادماً في غاية الإرهاق من سفر طويل تتوخي بعده بعض الراحة. سأموت. أعرف هذه الحمى اللعينة"^(٥). تحت الاخباريات لما يحمله من تأكيدات بفعل القول (أنني أموت) في بداية النص وهذا يدل على التقرير والتأكيد والاخبار بزمان موته، ومثل المتكلم في نهاية النص بفعل إنجازي يندرج تحت صنف الالتزامات بفعل القول (سأموت) بحرف السين التي تدل على المستقبل القريب عند دخولها على الفعل المضارع فالفعل الإنجازي تحول من فعل يدل على صفات الحال للأخبار إلى فعل يدل على المستقبل القريب فالفعل الإنجازي التأثيري سلوك يظهره المتكلم عبر أفعال كلامية بعد تعرضه لحمى قوية تتأثر مشاعره وأفكاره بالخوف قبل جسده. وفي هذا النص: "يغادروننا ليصبحوا نجوماً هناك نجوماً بعيدة لا نطالها إلا إذا متنا مثلهم في خضم هذه الأفكار، شعرت بألم يعصر قلبي. انقباض غير مألوف اعتراني. ويبدو أن ذلك ظهر على ملامح وجهي إذ سألني الطيف: "أراك تتألم. هلا أخبرتي بما أصابك؟ هلا فسررت لي تلك الألغاز التي سردها؟"^(٦) قدم المؤلف المقولة على القائل وجعلنا نستشعر لذة المقولة من خلال تقديمها للعناية والاهتمام فعادة ما يكون التقديم لأهمية المقدم، فالمؤلف أراد أن يشعرنا بعمق المقولة من خلال الاعلانيات التي جاءت على لسانه بأسلوب خبري مباشر، ففعل القول يتمثل بعبارة (يغادروننا ليصبحوا نجوماً). وبعد ذلك حافظ المؤلف على وتيرة الجانب الشعوري، فقدم لنا المشاعر التي خالجت نفسية المتلقي من خلل التعبيرات التي اباحها المتلقي في قوله (في خضم هذه الأفكار، شعرت بألم يعصر قلبي. انقباض غير مألوف اعتراني. ويبدو أن ذلك ظهر على ملامح وجهي) يندرج النص في بدايته تحت صنف الاعلانيات وهذا الصنف الوحيد الذي تكون مطابقته متحدة من خلال مطابقة الكلمات للعالم أو من خلال مطابقة العالم للكلمات، لكن في نهاية النص يندرج تحت صنف التعبيرات؛ أي: البوح بما في النفس من مشاعر وأفكار مهيمنة على النفس، لذا يخرج هذا الصنف الوحيد من تأثير المطابقة ومن ثم يأتي من بعد البوحيات صنف ثالث وهو التوجيهات بالفعل القضوي الذي خرج إلى أداة التحضيض (هلا)، لا يليه إلا فعل، أو معموله^(٧) وجاءت هذه الصيغة مرة أخرى للتأكيد على البوح بما أصابه طالباً منه المتلقي بصيغة التحضيض (هلا) لتحفيزه أو تشجيعه. فالنص المتداول خرج إلى ثلاثة أصناف من الأفعال الإنجازية، وهي الاعلانيات والتعبيرات والتوجيهات وهذا يدل على الحالة النفسية للمتكلم والمتلقي التي مرّت بهما عبر ظروف أحاطت بهما غير ثابتة.

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ٣٥٤.

(٢) ينظر: الكليات ٧٨٩.

(٣) رواية إنهم ينتظرون الفجر ٢٧١.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط ج ٢/٧١٢.

(٥) رواية اللاهي (فردوس الكاتب العجوز) ١١٠.

(٦) رواية إنهم ينتظرون الفجر ٣٠٢.

(٧) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ٦١٣.

ولا تخلو النصوص لدى جان دوست من تنوع العبارات عبر الأفعال الإنجازية التي تندرج تحتها أصناف هذه الأفعال فالنص يندرج تحت (الإخباريات والاعلانيات والتوجيهات)، ففي النص "قتلته وورثت قطيعه الذي فضله السيد الأعظم على زرعي ورثت كل ما يملك إلا الثأر لدمه للحفاظ على استمرارية ذرية آدم. لقد سننت للبشر من بعدي سنة قبيحة: اقتل لثرت القتل. ثم تطور البشر بعد ذلك حين تناسلوا وملأوا ظهر الأرض فصاروا بجيشون الجيوش ويشنون الحروب يقتل بعضهم بعضا ويرث جيش القتل الغزاة، ليس فقط ممتلكات المقتولين وأراضيهم ودورهم ومسكنهم، بل يسبون نساءهم أيضاً القتل ورثة المقتولين في كل شيء"^(١). فالفعل اللفظي للإخباريات تمثلت بعبارة (من قتلته... إلى استمرارية ذرية آدم)، فالفعل القضوي يخرج إلى الإخبار بفعل يعتاد الفعل هذا باستمرار واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم الخارجي. والفعل اللفظي للإعلانيات تمثل بعبارة (لقد سننت للبشر من بعدي سنة قبيحة) سننت من الفعل سن "السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة، والأصل قولهم سننت الماء على وجهي أسنه سنا، إذا أرسلته إرسالا"^(٢)، فالفعل القضوي يتمثل بقول المتكلم بفعل إنجازي قد وضع أو أنشأ بعد رحيله عادة سيئة للبشر. والفعل اللفظي للتوجيهات تمثلت بعبارة (اقتل لثرت القتل) أما الغرض المتضمن للقول في التوجيه، فيخرج إلى الأمر بصيغة الطلب المباشر ومن ثم تأكيد الأمر عبر اللام المكسورة للأمر التي تدخل على الفعل المضارع ويجوز أيضاً أن تسكن ولا تسكن إذا سبقها الفاء^(٣)، فالفعل الإنجازي التأثيري لهذا النص تضمن الدعوة إلى مدى قبح التقليد الذي تم وضعه من المتكلم وآثاره على المجتمع في المستقبل فهو أسس قاعدة قبيحة أثرت من بعده في الآخرين.

والنص الوارد يندرج تحت اصناف من الأفعال الإنجازية المباشرة وهي (التوجيهات والالزاميات والتعبيريات) "أيها الجبان، لا تقلق. سنشهد كلنا على أنك مسيحي طاهر من نسل مسيحي طاهر وأن اسم أبوك هو جرجس مثل اسمي. لا تقلق يا يوحنا يا بن جرجس الأنطاكي، لا تقلق يا جروي الصغير. ثم أطلق ضحكة خفيفة بددت رهبة الانتظار. مد جرجس يده إلى قلادة الصليب فزعها من عنقه وتابع قائلاً: هاك يا عشيق، ضع الصليب في عنقك فهو حرز لك من كل مكروه. مددت يدي وتناولت منه الصليب وأنا حائر في أمري. لكن حيرتي تلك لم تطل"^(٤). الفعل اللفظي للتوجيهات تمثلت بعبارة (أيها الجبان، هاك يا عشيق، ضع الصليب، لا تقلق) والفعل القضوي خرج إلى أسلوب النداء المتضمن معنى التنبيه (أيها الجبان) ومن ثم إلى صيغ الأمر (ضع الصليب) والنهي (لا تقلق). والفعل اللفظي للالزاميات تمثل في العبارة (سنشهد كلنا على أنك مسيحي طاهر.. الخ) والفعل القضوي خرج إلى الفعل الإنجازي التأثيري بكلمة (سنشهد) التي تتكون من السين والفعل المضارع وهذا يدل على المستقبل القريب. والفعل اللفظي للتعبيريات تمثلت بعبارة (وأنا حائر في أمري. لكن حيرتي تلك لم تطل) لذا خرج الفعل التأثيري النفسي عبر عواطفه ومشاعره وأفكاره بهذه العبارة، فهو يشعر بالضيق أو عدم القدرة على اتخاذ قرار حاسم بشأن موقعه من الصليب فهو يعكس لنا حاله من عدم اليقين والتردد في التعامل مع أصحابه في مسألة اعتناق المسيح وارتداء قلادة الصليب.

وقد تمثلت (الإخباريات والاعلانيات) في حكم الطبيب فرهاد عند اعلان بيعته لأمير داعش "اضطر الطبيب الجراح الدكتور فرهاد، الذي وقع وثيقة موت كثير ممن قُطعت رقابهم لكونه عضو الطبابة الشرعية، أن يمد يده لبياع أمير داعش في منبج أبو صلاح المكي ممثل الخليفة في الموصل قائلاً بنبوة فيها خوف كثير: "أعلن بيعتي لأمير المؤمنين الخليفة فرد الشيخ عبد الله إبراهيم بن عواد بن إبراهيم القرشي الهاشمي الحسيني، فأقول بايعتك على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر، وأن لا أنزع الأمر أهله إلا أن أرى كفراً بولاً عندي من الله فيه برهان"^(٥). فالفعل اللفظي المكتوب متمثلاً بعبارة (أعلن بيعتي وبايعتك وان لا أنزع الأمر) وهذه من الأفعال الإنجازية المباشرة غرضها المتضمن في القول هو حكم أمير داعش للطبيب فرهاد، فالفعل التأثيري حكم خرج إلى الأمر من الأمير لتغيير الكون أو العالم (المتلقي) لمطابقة الأوامر الواردة في الكلمات، فالتأثير النفسي في هذا النص ملئ بالضغوطات والقلق الذي يجبر المحكوم للقيام بعمل لا يرغب به أو لا يتفق مع مبادئه فعرّفنا ذلك من خلال الخبر في بداية النص بكلمة (اضطر) (ووقع وثيقة موت) وهذا دليل واضح على الضغوطات النفسية التي عاشها الطبيب فرهاد من تنظيم داعش.

يتمثل هذا النص بالتوجيهات والاعلانيات عبر امتزاجها في نصاً واحداً "أنت تحكي مُعَمَّياتٍ وألغازاً يا ولدي. أي مجزرة وأي دماء؟ أرفع الغطاء عن المخبوء تحت لسانك. أزع الستارة عن نافذة الحقيقة ودعني أرى ما هناك. منذ ثلاثين عاماً يا مولاي هبت عاصفة من الغبار هذه البلاد فحجبت الرؤية عن كل شيء. غبار لم تذكر التواريخ مثيلاً له في بلاد الكرد. غبار أشبه بسراب خادع جرفت عاصفته آلافاً من شبابنا وبناتنا ثم رمتهم في الوديان والشعاب ودفنتهم هناك. الآلاف من شبابنا بلا قبور يا مولاي. لا أحد يهدي تربتهم باقة ورد ولا أحد يصلي من أجل سكينة أرواحهم ولا أم تزور قبر ولدها فتزف من الدمع ما يبرد خَرَّ

(١) رواية اللاهي (فردوس الكاتب العجوز) ١١٤.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ج٣/٦٠.

(٣) ينظر: الاصول في النحو، السراج، ج٢/٢١٩.

(٤) رواية نواقيس روما ٤٨.

(٥) رواية باص اخضر يغادر حلب ٤٩.

قلبها. جبالنا مقابر يا مولاي. جبالنا مقابر" ^(١). فإن فعل القول في التوجيهات متضمن في (يا ولدي، أي، ارفع، أرح، ودعني) والفعل القضوي خرج فعله الإنجازي إلى أساليب متنوعة (كأسلوب النداء، والاستفهام، والأمر) وهذه جميعاً أفعال مباشرة غرضها المتضمن في القول هو التوجيهات بصيغ الطلبات أما فعل القول في الاعلانيات يتمثل في العبارة الآتية (هبت عاصفة من الغبار هذه البلاد فحجبت الرؤية عن كل شيء. غبار لم تذكر التواريخ مثيلاً له في بلاد الكرد). وهذا اعلان عن أمر فيما مضى عن تاريخ الكرد فالفعل التأثري الإنجازي يتمثل بالعواطف والمشاعر، لذا نراه يؤكد التوجيهات في آخر النص بأسلوب النداء وحرف النفي (لا) التي يستعمل لنفي حدوث الفعل أو الحالات التي يتحدث عنها.

وفي النص الآتي يندرج تحت الاخباريات والاعلانيات والذي يهمن في النص هو الحكم "صُمّت الأذان عن حشريات الأطفال التي ملأت الدنيا لحظة اختنقوا بالغاز، وعميت العيون عن وميض جراهم النازفة، تظاهرت العيون بالعمى، وادعت أنها لم تشاهد مجازر كانت أشدّ وضوحاً من شمس تموز، وأكثر صخباً من شلال، يسقط من شاطئ. ماتت ميسون أطفالاً الحرب شمعاتها الخمس" ^(٢) فالإعلان عن طريق فعل القول (ادعت) الذي يخرج إلى الفعل الإنجازي المباشر ذلك أنها زعمت أنها لم تشاهد؛ أي : نفت حدوث المشاهدة للمجازر فخرج الفعل الإنجازي المباشر إلى فعل غير مباشر بعبارة (كانت أشدّ وضوحاً من شمس تموز، وأكثر صخباً من شلال، يسقط من شاطئ) فهو تعبير مجازي يستعمل لشدة وضوح تلك المجازر استعارة بالوضوح المميز لشمس شهر يوليو فالفعل التأثري النفسي بمجمل العبارة يستعمل للتعبير عن استنكار ادعائهم بعدم رؤية الأحداث والحقائق التي كانت واضحة جداً مثل الشمس.

ويندرج هذا النص في الاخباريات والالزاميات والتوجيهات والتعبيريات "تريد العودة وجئت تخبرني؟ - أجل سأعود. جئت أودعك. امض بسلام. بارك الرب خطوك. لم تزد على ذلك. وجدت نفسي صامتاً كالأخرس. اكتشفت هناك أنه لم يبق لدى الراهبة ما نقوله لي ولم يكن لدي ما أقوله "حماك الله، قلت وكأنه لا بد من قول شيء ومشيت... خفق قلبي بقوة. شعرت كأن خيطاً كان يربطني بتلك الأرض قد انقطع. التفتت إلى البرّ الإيطالي لآخر مرة. لم يكن هناك من يودّعني. لم أجد منديلاً يُلوح لي ولا يدا ترتفع في الهواء ثم تهبط لتمسح دموع صاحبها اختلط لدي الحزن بالبهجة الندم بالحيرة والألم بالفرح زفرت بعق وانحدرت على وجهي دمعان كبيرتان" ^(٣) فالفعل القول في الاخباريات (تريد العودة وجئت تخبرني) وفعل القول اللفظي في الالزاميات (أجل سأعود) والتوجيهات (امض بسلام، بارك الرب، النفي الموجود في الجمل) أما في التعبيريات بدأ بعبارة (وجدت نفسي صامتاً كالأخرس، زفرت بعق، الاختلاطات التي بعثر نفسه فيها، وانحدرت على وجهي دمعان...) أما الأغراض المتضمنة في الأقوال خرجت إلى التقرير بالتأكيد إلى العودة والتزامه بالمستقبل القريب لتحقيق لفظة العودة وكذلك أسلوب الأمر والدعاء وأسلوب النفي بالأدوات الزاهية المكررة (ما، لا، لم) فالفعل الإنجازي التأثري النفسي خرج إلى عدم البوح بالمشاعر وصمت بصمت الخرّس أي : انه أدرك ليس لديه كلمات أو أي شيء يعبر به عن نفسخ مما يعكس إحساساً بالفراغ أو العجز وكذلك تتداخل المشاعر فيما بينها فلا يستطع التمييز بين مشاعر الندم ودرجة الحيرة التي يعاني منها وذلك شعوره بالفرح بينما يشعر أيضاً بالألم في ذات الوقت فهو في حالة من التناقض العاطفي حيث تتداخل مشاعر متعددة ومتصارعة مما يوجد شعوراً بالارتباك وعدم القدرة على الفصل بين هذه المشاعر المتباينة وهذا ما أحدثه الفعل الإنجازي على المتلقي.

ويدخل النص الآتي ضمن التوجيهات والاعلانيات لحمله صيغ التحذير والتحذير والاستفهام والتوبيخ والاشارة عبر التنبيه "كان الدرويش سراج يتنقل بين قري هذا الطرف وذاك يدعو للسلم ويحذر من سفك الدماء. حتى لقد رأيته ذات مرة يخطب في جمع من القرويين حملوا فؤوساً لمقاتلة أهل قرية مجاورة على غير دين الأولى: ويحكم أيها الناس! هلا نظرتم إلى وجوهكم في المرأة! تالله إنكم وأنتم تحملون هذه الفؤوس لأقرب إلى سباع البراري وجوارح السماء من الإنسان الذي خلقه الله بيديه وعلى صورته. ألا ويحكم ويوح بطون حملتكم!" ^(٤). فأفعال القول واضحة ضمن التوجيهات (يدعو، يحذر، ويحكم أيها الناس، هلا نظرتم، ألا ويحكم) وضمن التعبيريات (تالله إنكم وأنتم تحملون هذه الفؤوس لأقرب إلى سباع البراري) فالأغراض المتضمنة في الأقوال خرجت إلى (التحذير بعبارة ويحكم أيها الناس يعود إلى الجذر العربي ويح أصل الجذر يعني أصاب أو ألزم في بعض الاستخدامات كلمة رحمة لمن تنزل به بلية أو وويل كلمة عذاب؛ وقيل: هما بمعنى واحد، وهما مرفوعتان بالابتداء ^(٥)، فهي تعبيراً عن التوبيخ والاستنكار توجيهاً للناس للدلالة عن الاستيلاء أو التعجب أو إشارة إلى التوبيخ وأيضاً إلى التحذير بعبارة هلا نظرتم أي بمعنى هل قمتم بالنظر وهو أسلوب يستعمل لحث الشخص على القيام بفعل ما بشكل قوي مباشر عبر الاستفهام بأسلوب طلب النداء) فالفعل الإنجازي التأثري الذي استطاع المرسل ان يوصله إلى المتلقي عبر رسالته التي كان مضمونها التحفيز وتغيير سلوكهم إلى إدراك حقيقة وضعهم وتصحيح مسارهم .

(١) رواية إنهم ينتظرون الفجر ٣٠١.

(٢) رواية باص أخضر يغادر حلب ٣٩.

(٣) رواية نواقيس روما ١٧٨-١٧٩.

(٤) رواية عشيق المترجم ١٤٤.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ج٦/٧٧، ينظر لسان العرب ابن منظور ج٢/٦٣٨.

في النص الآتي تتضمن أفعال القول على أصناف متعددة منها الزاميات وإعلانيات وتوجيهات وتعبيريات وهذا ما اقتضاه السياق من أفعال كلامية متداولة في اللفظ والمعنى المباشر "سأبوح لها. سأفشي للأميرة سرّ قلبي المُنزى حتى لو طار رأسي عن كفّي. فأن أموت شهيد الحب أفضل من أن أموت صبراً وقهراً مثل جدي يُشوى على نار هادئة. ولكن كيف سأصل إليها؟ يا إلهي أعني على بلاء الحب. لا بد أن أرسل إليها رسائل أبين فيها لوعة قلبي فيما تلي. ومن يدري يخفي لهذا القلب الذي اعتقّ العشق ديناً من الفيض الرباني ما لا يخطر عليّ فلفل القدر قلب بشر! كان لا بد لي من كاتم، سر ينقل رسائل الغرام إلى من وقع قلبي بين مخالب جمالها الساحر وبرائث جاذبية عينها"^(١). فأفعال القول جاءت في عبارات متنوعة منها الإلزاميات بعبارة (سأبوح لها، سأفشي للأميرة سرّ قلبي) والإعلانيات بقوله (فأن أموت شهيد الحب أفضل من أموت صبراً وقهراً) والتوجيهات بصيغة السؤال (كيف سأصل إليها) والتعبيريات بقوله (يا إلهي أعني على بلاء الحب) فأفعال القضيوى تضمنت (بالوعد المستقبلي عبر صيغة السين التي تدخل على الفعل المضارع، فأن أموت تعبر عن الموت من أجل الحب والشعور فجاءت الفاء للتعقيب أو السببية وختم الإعلان عن حالته بمفاعيل مطلقه حذف أفعالها لاختصار الأسلوب وجعلها أكثر إيجازاً في الفهم، والاستقهام بصيغة كيف خرجت إلى الطريقة أو الكيفية المناسبة للوصول إلى الأميرة، والنداء الذي خرج إلى التصرع والطلب بصيغة غير مباشرة من الله لمواجهة هذا البلاء أو لتخفيف المحنة التي يمر بها المتكلم) وهذا ما يؤكد لنا أن النص يتضمن أفعالاً نفسية وتأثيرية وعاطفية تعبر عن الإحساس بالضعف اتجاه الصعوبات فهو يفضل أن يكون شهيد الحب ولا يبقى على هذا الألم أو الصراع الداخلي.

والفعل الكلامي المباشر يندرج تحت صنف الإعلانيات مرة من المتكلم ومرة أخرى من المتلقي ففعل القول في النص واضح من خلال اللفظ "قال الجني حين انتهكني في المرة الأولى: "الجن سيحولونك إلى كلبة إن قلت شيئاً لأحد". صدقته طبعاً. وأي طفل لا يصدق ما يقوله الكبار ! ثم كرر كل مرة : الجن سيحولونك إلى عقرب إلى أفعى وربما حولك إلى حشرة كريهة تدعسك الأقدام إن تكلمت بكلمة واحدة، و فسيخطفك الجن ليحولوا دمك إلى عصير وعظامك إلى كؤوس". صدقته أيضاً. صدقت كل تحذيراته الكبار لا يكذبون الكبار يعرفون كل شيء. الكبار قادرون على فعل كل شيء"^(٢)، فالأفعال اللفظية تتمثل في عبارات (سيحولونك، ان تكلمت، فسيخطفك الجن، ليحولوا دمك) فهذه الكلام صادر من المتكلم إلى المتلقي فهو إعلان لحكم ما في ذهنه اما الإعلان الآخر من المتلقي بقولها (صدقته، الكبار لا يكذبون، الكبار قادرون على فعل كل شيء) ففرض المتكلم تحقق عبر تصديق المتلقي الإعلان المباشر، لكن خرج غرض النص إلى أفعال إنجازية غير مباشرة تصنف تحت التوجيهات التحذيرات، فالفعل التأثري النفسي الذي سببه المتكلم للمتلقي خرج إلى الخوف وعدم البوح بما يجري لها من اضرار بقولها (حين انتهكني)، فالانتهاك مفردة نهك "وانتهك عرض فلان بالغ في شتمه والشئ أذهب حرمة والحرمة أو المحرمات تناولها بما لا يحل ويُقال انتهك حرمة الله نقض العهد وغدر بالمعاهدة"^(٣) فسببت الانتهاكات اضراراً نفسية وجسدية للشخصية.

تكمّن جمالية النصوص أحياناً بطريقة التعبير عنها مع ذلك تعتمد هذه الطريقة على آلية التواصل وثقافة الطرفين فالأفعال الإنجازية تتمثل في هذا النص من خلال اختلاف ثقافة الطرفين ومن ثم اختلاف الإطار الدلالي الذي ينتمي اليه الطرفان مع وجود مساحة معرفية مشتركة بينهما وكذلك لغة حوار مشتركة تمثلت باللغة العربية ففي النص الآتي "الأمر الذي جئت لا جله! قلت له بعد أن نفخت كتلة لطيفة من الدخان من زاوية فمي : الأمر لك يا محمود آغا . لكنني جئت أرجوك باسم الضيافة أن تقبل بزواج حسين من غولنار . إنك بذلك سترضي الله وتسعد قلبين من قلوب عباده. قلت جملتي بلا مقدمات ثم انتظرت أن يرد الآغا. حبسنا الصمت وراء جدرانهم ووضع الأهوال على البوابات. شعرت بأن مفاجأة كبيرة تنتظرنا. لقد أحكما الفخ للصقر العجوز. قال الآغا العجوز. لم أفهم استعارته فاستفسرت: ماذا تفعلتم؟ أقول لقد عرف حسين وأمه أخيراً كيف يطرقان بابي"^(٤). كان الأسير الفرنسي يتقن اللغة العربية وكذلك الآغا الكردي، وعلى ما يبدو أن الأسير الفرنسي اعتمد الطريقة البراجماتية على حسب ثقافتهم الغربية في الدخول في صلب الموضوع مباشرة لذا اعتمد الفعل الإنجازي المباشر بإجابته عن سؤال الآغا بقوله: (الأمر لك يا آغا محمود)، فكان معنى العبارة مطابقاً للمنطوق ثم اعقب الكلام بعده مباشرة بقوله (لكنني جئت أرجوك باسم الضيافة أن تقبل بزواج حسين من غولنار . إنك بذلك سترضي الله وتسعد قلبين من قلوب عباده)، وإن كانت العبارة (الأمر لك ...) عبارة إخبارية مباشرة إلا أنها تتم عن رمي الكرة في ملعب الآغا وحتى لا يظن أنها عبارة توجيهية مباشرة اعقبها بتعليقه (لكنني أرجوك ...)، ليسود الصمت قليلاً ثم يجيب الآغا بعبارة إنجازية غير مباشرة تحمل استعارة لا يمكن للغريب أن يفهم محتواها (لقد أحكما الفخ للصقر العجوز)، ذلك لاختلاف الثقافات لذا اقترح الأسير هذه العبارة بطريقة مباشرة بعبارة إنجازية توجيهية (ماذا تفعلتم) عبر استعمال أسلوب الاستقهام وإن كانت هذه العبارة طلبية إلا أنها كانت تتمتع بالتهذيب عبر استعمال الفعل (تفضلتم) وهو من الفضل "التفاهل من المزية، والتفاضل بين القوم: أن يكون بعضهم أفضل من بعض"^(٥). فكيف للأسير أن يفهم الاستعارة وإن يفهم العبارة الإنجازية

(١) رواية مجنون سلمى ٥٥.

(٢) رواية إنهم ينتظرون الفجر ٥١.

(٣) المعجم الوسيط ج٢/٩٥٩.

(٤) رواية الأسير الفرنسي ١٧٧.

(٥) تاج العروس للزبيدي ج٣٠/١٧٣.

غير المباشرة فشرح الاغا معنى هذه العبارة بأن حسين وامه عرفا كيف يخترقان عناد هذا الرجل العجوز ويجعلانه يغير رأيه من خلال طلب الضيف منه ان يقبل بالزواج، فهذا النص يظهر لنا آليات استعمال الأفعال الكلامية بصورتها المباشرة وغير المباشرة وكيف ان المعنى يعتمد على السياقات التواصلية وأنه أحياناً لا يمكن ان يبقى أسيراً في قوالب جامدة ، وان تأويل النصوص يعتمد على مبدأ التعاون بين طرفي الخطاب فعملية مشاركة الأفكار تعتمد على رغبة الطرفين في التواصل؛ لذا وجدنا الاغا يغير موقفه بناء على عادات وتقاليد لديهم ان الضيف مقدم ولا يمكن رفض طلباته وهذا ما دعاه الولد وامه لذا بادرا إلى الطلب من الضيف ان يترجى الاغا لقبول الزواج " لكنك ترجوني باسم الضيافة. أنت ضيف يا سيد جوبير . والضيف مقدس وكلامه أمراء ويحق له ما لا يحق لغيره. سأحترم غريبتك. سأحترم سجنك ومظلوميتك وضعفك ووحدةك. سأحترم القيود التي وضعناك فيها بأمر الباشا. رجاؤك مقبول أيها السجين المسكين. وما دمت أنت الوسيط فإنني سأبارك هذا الزواج. ولتعلم أن هذا هو أعظم ما يمكن أن أقدمه لك وأنت ترسف في القيد بعيداً عن أهلك ووطنك... فليبارك الله زواج حفيدي حسين من محبوبته غولنار"^(١).

تكمّن قيمة استعمال الأفعال الإنجازية في كشفها عن أسرار الاستعمال التداولي للعبارة وعن آلية الوصول إلى المعنى وتأويل النصوص وفهمها، ففي قصة الأسير الفرنسي انطلقت السفن دون أن يعرف الركاب وجهة هذه السفن وذلك لسرية المهمة وكان الحديث الشاغل للركاب عن الوجهة ووقوعا في حيرة من امرهم، وفي هذا النص نجد هذه الحيرة بارزة بوضوح وكانت "العدالة، سفنيتي التي سأبحر على متنها، راسية هناك أيضاً. التحقنا بها مسرعين وصعدنا إليها دون أن نعلم إلى أين ستوجه. وحتى بعد أن استقر بنا المقام على سطحها لم نعرف الوجهة الصحيحة. كثرت الإشاعات بين البحارة والجنود وزملائي من المترجمين. الوجهة بريطانيا. مالطا هي الهدف. لا، بل سردينيا. مصر بلا شك. بل شمال إيطاليا. وربما جنوة تحديداً! كانت مصر أحد الاحتمالات. وكنت أتمنى أن يكون هذا الاحتمال هو الصحيح دون غيره. (سنسقي زهرة اللوتس الفرعونية بمزيد من ماء الحضارة). رددت لنفسني العبارة التي سمعتها من أبي ذات نقاش ... لكن مشاعري ظلت تقول لي إننا ذاهبون إلى مصر، كانت تلك المشاعر أمنية أكثر من كونها إحساساً"^(٢). ففي هذا النص تجاذبت الإشاعات عن الوجهة الحقيقية إلا أن جوبير كان لديه إحساس قوي ان الوجهة هي مصر وكان يتمنى ذلك، لذا نراه يطلق عبارة إنجازية إلزامية مباشرة (سنسقي زهرة اللوتس الفرعونية بمزيد من ماء الحضارة) مع ذلك حملت هذه العبارة فعلاً إنجازياً غير مباشر فهي إشارة إلى أن الجيش متوجه إلى مصر وبالطبع ليس من مهمة الجيش الزراعة وإنما القتال والدمار وبذلك استلزم ذكر السفن الحربية القتل والدمار ولم يستلزم الزراعة أو الاعمار مع ذلك استعار المتكلم عبارة (سنسقي زهرة اللوتس الفرعونية بمزيد من ماء الحضارة) للإشارة إلى احتلال مصر ومن هنا يمكن فهم هذه العبارة على أنها فعل إنجازي غير مباشر؛ لأنها تحمل معنى مخالفاً للمنطوق فهذه الرحلة احتلال مصر وليس العناية بإزهارها، ونجد في هذه العبارة الكثير من الألفاظ التجميلية، مثل (سنسقي زهرة اللوتس الفرعونية) وهنا إشارة إلى العناية بالحضارة المصرية المتمثلة بالحضارة الفرعونية، لكن بماذا سيسقى هذه الحضارة القديمة؟! سيسقيها (بمزيد من ماء الحضارة) في إشارة إلى أن تلك الحضارة أصبحت قديمة وستحتاج إلى شيء من التجديد وهذا التجديد سيكون على يد هذه القوات وبطبيعة الحال حاول المتكلم تجميل عباراته ليظهر مهمتهم بمظهر حسن وجميل وأنهم جاؤوا لينشروا الثقافة والتحضر في مصر.

٤. الخاتمة:

تميزت نصوص روايات جان دوست بالطابع الاجتماعي والسياسي والديني والنفسي. كما وظفت الأفعال الكلامية بشكل مكثف ومتقن ، فتجاوزت هذه الأفعال دورها التقليدي بوصفها وسيلة للتواصل إلى ما يمكن أن نعدّها أداة فعّالة للكشف عن الأبعاد النفسية المعقدة للشخصيات.

تتداخل الأفعال الكلامية في روايات جان دوست مع السياقات الاجتماعية والسياسية والدينية مما يعزز عمق التأويل ويضيف طبقات متعددة من الفهم للنصوص

أسهمت الأفعال الإخبارية في نقل الحقائق والمعلومات، لكنها في ذات الوقت كشفت عن حالة من الصراع النفسي أو التوتر الداخلي لدى الشخصيات، وهو ما يمكن ملاحظته في الإعلانات التقريرية التي تعكس مشاعر الإحباط أو التحدي.

(١)رواية الأسير الفرنسي ١٧٧ - ١٧٨.

(٢)رواية الأسير الفرنسي ١٣١.

برزت الأفعال الكلامية . التوجيهية مثل الأوامر والنواهي . بشكل لافت بوصفها آلية لفرض السلطة أو تحديدها، مما يعكس ديناميكيات القوة والعلاقات الاجتماعية المعقدة التي تتناولها نصوص دوست .

عملت الأفعال الكلامية . التوجيهية . على تحفيز القارئ لفهم الدوافع الخفية وراء التصرفات والمواقف، إذ استعملت بطرائق مباشرة أو غير مباشرة مما جعلها تُثري عملية تأويل الخطاب وكشفت عن الصراعات النفسية الدفينة .

كانت الأفعال الكلامية . التعبيرية . قادرة على نقل مشاعر الفرح، الحزن، الغضب، أو الحيرة بشكل مؤثر، ما جعلها جزءاً أساسياً من بناء الشخصيات وتطوير الأحداث. اظهرت نصوص دوست أن التعبيرات لا تكتفي بنقل الحالة النفسية بل تؤسس أيضاً لمواقف درامية تعزز من أثر الأحداث وتدفع القارئ إلى التفكير في الأسباب والدوافع الخفية وراء كل موقف .

نجح دوست في استعمال الأفعال الكلامية بوصفها أدوات لتأويل النصوص بشكل أعمق، إذ تصبح الأفعال وسيلة لفهم البنية النفسية والاجتماعية للشخصيات، وأدى استعماله لها إلى ظهور تناغم بين الشكل والمضمون .

إن الأبعاد النفسية التي تبرز من خلال الأفعال الكلامية في نصوصه ليست مجرد جزء من الحبكة، بل هي انعكاس لأزمات ومعضلات وجودية تعبر عن تجارب إنسانية شاملة .

شكلت نصوص جان دوست مادة خصبة للتحليل اللغوي والنفسي، مما فتح آفاقاً جديدة لتأويل الأدب وفهم تأثير الأفعال الكلامية في تشكيل المعنى وتعميق الفهم القرائي

Funding:

This research was not funded by any institution, foundation, or commercial entity. All expenses related to the study were managed by the authors.

Conflicts of Interest:

The authors declare that there are no conflicts of interest to disclose.

Acknowledgment:

The authors wish to acknowledge their institutions for their instrumental support and encouragement throughout the duration of this project.

References

- [1] B. al-Sarraj al-Baghdadi. (1973). *Al-uṣūl fī al-naḥw* (ed. A. al-Fatli). Baghdad, Iraq: Maṭba‘at Salman al-A‘ẓamī. Retrieved from: <https://shamela.ws/book/7365>
- [2] A. al-Jarim & M. Amin. (2010). *Al-balāghah al-wāḍiḥah*. Al-Bushra Library, [Google Book](#)
- [3] M. M. ‘A. al-Husaynī al-Zabīdī. (n.d.). *Tāj al-‘arūs min jawāhir al-qāmūs*. Benghazi, Libya: Dār Lībiyā lil-Nashr wa-l-Tawzī‘; Beirut, Lebanon: Dār Šādīr. Retrieved from <https://shamela.ws/book/7030>
- [4] A. al-Ḥasan ibn Q. al-Murādī. (1992). *Al-janā al-dānī fī ḥurūf al-ma‘ānī* (ed. F. Qabāwah & M. N. Fāḍil). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Muḥammad ‘Alī Bayḍūn Publications. Retrieved from <https://shamela.ws/book/26099>
- [5] J. Dost. (2023). *Riwayat al-asir al-faransi*. Beirut, Lebanon: Dār al-Sāqī, Retrieved from <https://www.daralsaqi.com/book/9786140322547>
- [6] J. Dost. (2022). *Riwayat al-lāhī: Firdaws al-kātib al-‘ajūz*. Beirut, Lebanon: Sharikat al-Maṭbū‘āt lil-Tawzī‘ wa-l-Nashr. Retrieved from <https://alkitab.com/74366.html>
- [7] J. Dost. (2022). *Riwayat innaḥum yantazirūna al-fajr*. Beirut, Lebanon: Dār al-Sāqī. Retrieved from [Google Book](#)
- [8] J. Dost. (2019). *Riwayāt baṣ akḥḍar yughādir Ḥalab*. Milan, Italy: Manshūrāt al-Mutawassiṭ. Retrieved from [Google Book](#)
- [9] J. Dost. (2019). *Riwayāt ‘ashīq al-mutarjim*. Beirut, Lebanon: Dār al-Sāqī. Retrieved from [Google Book](#)
- [10] J. Dost. (2023). *Majnūn Salmā: Sīrah mutakhayyalah li-shā‘ir ḥaqīqī*. Riyadh, Saudi Arabia: Al-Majmū‘ah al-Sa‘ūdiyyah lil-Abḥāth wa-l-‘Ilām. Retrieved from <https://www.jadaliyya.com/Details/46652>
- [11] J. Dost. (2016). *Nawāqīs Rūmā*. Beirut, Lebanon: Dār al-Sāqī. Retrieved from [Google Book](#)
- [12] I. al-Shīrāzī. (1988). *Sharḥ al-luma’ fī uṣūl al-fiqh* (ed. ‘A. Turki). Beirut, Lebanon: Dār al-Gharb al-Islāmī. Retrieved from <https://www.noor-book.com/9fqdlu>
- [13] J. Moeschler & A. Reḥoul. (2011). *Al-qāmūs al-mawsū‘ī li-l-tadāwuliyyah* (trans. group of Tunisian university scholars under supervision of ‘A. al-Majdhūb). Tunis, Tunisia: Dār Sīnātīrā, al-Markaz al-Waṭanī lil-Tarjamah. Retrieved from <https://www.noor-book.com/oc2vke>
- [14] A. A. al-Kafawī. (1998). *Al-kulliyāt: Mu‘jam fī al-muṣṭalahāt wa-l-furūq al-lughawīyyah* (rev. and indexed by ‘A. Darwīsh & M. al-Maṣrī, 2nd ed.). Beirut, Lebanon: Mu‘assasat al-Risālah. Retrieved from <https://shamela.ws/book/7037>

- [15] M. ibn M. ibn Manzūr al-Anṣārī al-Ifriqī al-Miṣrī. (2005). Lisān al-‘Arab (ed. ‘Ā. H. Haydar; rev. ‘A. I. Ibrāhīm). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Muḥammad ‘Alī Bayḍūn Publications. Retrieved from <https://shamela.ws/book/1687>
- [16] A. al-Mutawakkil. (2010). Al-lisāniyyāt al-wazīfiyyah: Madkhal nazarī (2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah. Retrieved from <https://www.noor-book.com/g7dhvy>
- [17] ‘I. S. al-Mūsā. (1997). Al-madkhal fī al-ittiṣāl al-jamāhīrī (4th ed.). Cairo, Egypt: Maktabat al-Kinānī lil-Nashr wa-l-Tawzī‘. Retrieved from <https://lib.riifs.org/bib/1604>
- [18] I. Muṣṭafā, A. al-Zayyāt, H. ‘Abd al-Qādir, & M. al-Najjār. (n.d.). Al-mu‘jam al-wasīṭ (Vol. 1). Cairo, Egypt: Dār al-Da‘wah. Retrieved from [Google Book](#)
- [19] A. M. ‘Umar. (2008). Mu‘jam al-lughah al-‘arabiyyah al-mu‘āṣirah (1st ed.). Cairo, Egypt: ‘Ālam al-Kutub. Retrieved from <https://shamela.ws/book/29511>
- [20] F. Armenco. (n.d.). Al-muqārabah al-tadāwuliyyah (trans. S. ‘Allūsh). Beirut, Lebanon: Markaz al-Inmā’ al-Qawmī. Retrieved from [Google Book](#)
- [21] A. A. al-Rāzī. (2008). Mu‘jam maqāyīs al-lughah (ed. I. Shams al-Dīn, 2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah. Retrieved from <https://shamela.ws/book/21710>